بيض النعام في شمال افريقيا القديمة

د. نورية أكلي

معهد الآثار – جامعة الجزائر2

ملخص

يعتبر طائر النعام من أكبر، وأضخم الطيور الّتي لازالت تعيش حاليًا وهي بمثابة "فيل الطيور". لقد تمكنت منذ أمد بعيد من الحفاظ على سلالتها دائمًا في نفس مواطن استقرارها دون تغيير في بنيتها الفيزيولوجية. كما ان النعامة ولودة، وتبيض بكثرة، يتميز بيض النعام بكونه شديد الصلابة، وثقيل، وكبير الحجم. مع الشواهد الأثرية لهدا المنتوج الطبيعي توجد مصادر كتابية قدمها اليونانيون واللاتينيون على بيض النعام.

الكلمات الدالة : طائر، النعام، بيض، قشرة، شمال افريقيا.

Résumé

Dans les temps anciens, l'Autruche passait pour être «l'oiseau éléphant» en raison de sa taille. Elle est d'une race très ancienne qui a su se conserver sans modification de la structure physiologique pendant cette longue suite de siècles et toujours dans la même terre. Elle est féconde, ces œufs sont très gros et solides. En plus des témoins archéologiques de ce produit naturel, il existe des sources écrites fournies par les Grecs et les Latins.

Mots clés : oiseau, autruche, œuf, coque, Afrique du nord.

Abstract

In old times, the ostrich passed to be "the bird elephant" because of its size. It is of a very old race which knew to be preserved without modification of the physiological structure during this long continuation of centuries and always in the same ground. It is fertile, these eggs are big and solid. In addition to the archaeological evidence of this natural product, there are written sources provided by the Greeks and Latins.

Keywords : bird, ostrich, egg, shell, north Africa.

بيض النعام عند ألادباء القدامى

أحيط طائر النعام منذ العصور القديمة بالكثير من الغموض والفضول؛ وأثار انتباه العلماء القدامى، حيث نجد أثرًا لذلك في عدد من المصادر الكلاسيكية. وصلتنا منه أربع عبارات في رسائل تخصّ علم الفراسة لكُتّاب العالم إلاغريقي والروماني، تشير كلها إلى النعامة. فقد اعتمدوا على الملاحظة الدقيقة للمظهر الشكلي أو المورفولوجي للطائر

(سمات العيون، والأظفار، والأقدام، والأجنحة، والرأس، والقامة، وغير ذلك.) وعلى الملامح الجسمية (الريش، وحركة الأعضاء وكذا طريقة المشي) في أدّق التفاصيل. بالإضافة إلى كتابات لا تخصّ علم الفراسة، لكنّها تعتمد على تصرّف الحيوان، وسلوكه من أجل استخلاص إشارات معينة، وإبراز خصائصه. لذلك قام المؤلّفون القدامى من إغريق ورومان على إبراز الإشارات الّتي اعتبروها "تشخيصية" لدى النعام. في هذه المصطلحات الّتي هي أوفر مقارنة بباقي الحيوانات الغريبة، والحال أنّ عبارة strouthocamelos تعكس صورة مركّبة[1] يصعب التعرّف عليها لمن لم ير الحيوان من قبل، ان الكلمة اليونانية الشائعة لطائر النعام strouthio الّتي يبقى أصلها غامضًا مع أنّها تشير إلى طيور كبيرة الحجم.

تعتبر عبارة strouthos katagaios والّتي معناها "طائر أرضي" هي أقدم كلمة لنعت طائر النعامة، وهي مستخرجة من سجل أنواع الحيوانات الخاصّ بشمال إفريقيا القديمة "Libua" لهيرودوتس (Herodote, p.192)الّذي يعود تاريخه للقرن الخامس قبل الميلاد، حيث نجد أنّ معنى عبارة katagaios عند هيرودوتس "الطائر على الأرض" يكشف عن الخاصية النموذجية لطائر النعامة المتمثّلة في عدم قدرته على الطيران.(Bodson, 2005, p.261-266)

«في [مناطق] البدو، لا نصادف أيّ شيء، لكن توجد حيوانات أخرى: عقبان، وغزلان، وحيارم، وحمير [وحشية]، ليس النوع ذو القرون، ولكن النوع الّذي لا يشرب مطلقًا، ثعالب صغيرة، وضباع، والشياهم، والكباش التبرية، وابن آوى، والفهود، والتماسيح، والنعام، وأفاعي صغيرة ذات قرن واحد. هذه الحيوانات تخصّ تلك البلاد". (Hérodote, 1915, p.31)

تعتبر مسرحيات أرسطوفان(.. Aristophane, Anthologie) قيّمة جدًّا من أجل معرفة النظم، والعادات الأثينية العائدة إلى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد. ونجد فيها ذكرًا للطيور، وخصوصًا النعامة، حيث يلمّح إلى جمال و بياض ريشها في مقتطف مسرحية هزلية تتكلم عن الذهاب إلى المعركة:

لاماشوس : اذهب احضر لي قنزعة،

[1] الاسم القديم للنعامة مركب من اسم، نعت هذا الأخير ينتمي إلى مفردات اللغة المحلية المشتقة من السامية الغربية

لأضعها على خوذة.

ديسيوبوليس : أيّتها السُمانَة، أيّها الحمام.

لاماشوس : هذه ريشة نعامة، إنّها بيضاء، يا للعجب!

في الرسائل البيولوجية الأرسطوطاليسية، يرجع اسم النعامة إلى عامل توزيع جغرافي حيواني. ويطلق عليه اسم "الطائر الإفريقي" strouthos Libukos، لاسيّما في الفصل الأخير لكتاب أرسطو(10Aristote, VIII,XXVII,) المكرّس للحيوانات، حيث جرّد الخصائص المورفولوجية الّتي تربطه بالنظر إلى أجنحته، وريشه وعدد القدمين، إلى صنف الطيور، وبالنظر إلى شكل أهداب أجفانه وأرجله المتفرّع، وحجم الجسم، تنسبه إلى صنف الحيوانات ذوات الأربع أرجل.

وفي القرن الأول قبل الميلاد، كتب ديودوروس الصقلّي عبارة strouthokamelos "الطائر– الجمل"، بالإستناد إلى البنية المورفولوجية (الحجم)، والسلوك (القدرة على الجري)، و إلى الشكل الفريد للحيوان الّذي يذكّر بالجمل(,III, 50 Diodore de Sicile, II ; 28, 2-4) ، و نجد أيضًا في التاريخ الطبيعي لبلينوس أنّ الكلمة المركّبة المذكورة تُرجمت إلى .struthocamelus والتي تشير إلى وصف الطيور الأكبر حجمًا، والقريبة من صفّ رباعيات الأرجل. فهي نعامات إفريقيا أو إثيوبيا؛ يتجاوز ارتفاعها ارتفاع إنسان يمتطي حصانًا، وتسبقه في الركض. فأجنحتها لا تساعدها إلاّ في الركض فقط.، لكنّها لا تطير و لا تعلو حتّى عن الأرض. والشّيء نفسه فيما يخص أقدامها، فهي لا تعلو عن سطح الأرض، حيث أنّ أرجلها مشابهة لأرجل الأيائل، تستخدمها في العراك؛ وهي تنشق إلى اثنين، ما يمكّنها حين فرارها من إمساك الحجارة بها ورميها ضد من يطاردها. كما لديها القدرة المذهلة على هضم كلّ ما تبتلعه بلا تمييز؛ لكن الأغرب هو سذاجتها كونها تظنّ نفسها بمأمنٍ عندما تخبّئ عنقها في التراب، بينما يبقى باقي جسمها مكشوفا. ومع ذلك فيستفاد من بيضها بسبب حجمه، كأوان وأدوات منزلية، ومن الريش الّذي يزيّن قمّة خوذات المحاربين(1) Pline l'Ancien, X, I)).

بينما استخدم إيزيدور الإشبيلي (Isidore de Seville, XII, 7, 20) الكلمة اليونانية "Struthio" الّتي في عصره كانت قد نحّت سابقتها. ويقول أوبيانوس(.o63 , v,4 Oppien, 1) في قصيدته عن الصيد، أنّ النعامة من غبائِها تعتقد أنّها تستطيع التهرب من نظر الصيّادين

بإخفاء رأسها في التراب. كما أنّه وفقًا للخصائص المعنوية للحيوانات المقدّمة في كتاب بوليمون(Polemon, 186, 7.)، فإنّ النعامة عبارة عن حيوان غبيّ، وصبور، وطموح، وسعيد، وهادئ.

بيض النعام في العصر القديم

دور النعام في الحياة اليومية للسكّان الحاليين لإفريقيا الشمالية تقريبًا معدوم، بيد أنّ الحال لم يكن كذلك خلال أزمنة ما قبل التاريخ. ويدلّ وجود قشور البيض في أماكن سكنى المجموعات البشرية على أنّ النعامة كانت بالنسبة لهم حيوانًا مألوفًا، حيث أنه كلّما تقدّمنا في الزمن، فإنّنا نلاحظ تراجعًا محسوسًا لدور النعامة في حياة سكّان شمال إفريقيا. فالبيض لم يعد يستخدم إلاّ في القبور كغرض طقوسي، وأمّا مسعى الرومان وراء النعامة لاصطيادها فكان بمثابة فضول أكثر من كونها طريدة للانتفاع بها(Judas, 1865, p09 V. 2-2-22). وفي المراحل السابقة للتاريخ، كالبونيقية، والرومانية والعربية، قد استعمل بيض النعام سواء كقربان مأتمي، أوكغرض طقوسي وهو تقريبًا الاستخدام الوحيد الّذي استمرّ حتّى الفترة الحالية. (Camps-Fabrer, 1962, p.33-56)

إنّ اكتشاف قشور بيض النعام في المقابر المصرية وبلاد ما بين النهرين العائدة للألفية الثالثة، وكذا في العالم الميسيني للألفية الثانية، يشكّل السابقة الشرقية لإحدى الشواهد الأكثر شيوعًا في الطقوس المأتمية البونيقية. وتمثّل قشور بيض النعام المرسومة، الشائعة في القبور البونيقية، ولكن الّتي وجدت في المساكن، فتعتبر صنفًا خاصًّا من المعتقدات الدينية البونيقية. والتي أولي لها اهتماما خاصّا في بحوث شتّى أبرزت التباينات الحرفية بين مختلف مراكز الإنتاج في العالم الفنيقي الغربي، والعلاقات العضوية ذات الطابع الاجتماعي الاقتصادي الّتي تضمّنتها تجارة الأغراض الفاخرة تلك، وقد عرف الاستخدام الرّمزي لبيض النعام، في سوريا، كما هو الأمر في فلسطين وقبرص، وفي القبور الفنيقية البونيقية انتشارًا بين القرنين السابع والثاني قبل الميلاد، مع ذروة بين القرنين السادس والثالث. (Moscati, 1988, p.453-456)

لم تكن مجموعة الوثائق المتاحة متجانسة بالنسبة لمختلف مناطق العالم الفنيقي البونيقي، فضلاً عن العامل المشكّل من قدرة حفظ المواد الأثرية الّتي تختلف بحسب خاصية الأراضي، إذ يجب الأخذ بالحسبان أن الاكتشافات المتفرّقة لبقايا قشور البيض ليست دومًا موثّقة في سجلات الحفريات. غير أنّ الهوّة الوثائقية، في الألفية الأولى بين الشرق

والغرب، بلغت حدًّا لا يمكن تفسيره إلاّ بتناقص أعداد النعام الكبير في السهوب السورية، ووجود احتكار في سوق الشمال إفريقي، إذ أنّ الموزّع المجتمع لا يقتصر على المادة الأوّلية فحسب، ولكن على قسم معتبر من المنتجات المنجزة. (Cintas, 1970, p. 282)

تبيّن الدراسات الّتي قادتها مريم أستروك في قرطاجة منذ القرن السابع قبل الميلاد، أنّ قشور البيض الّتي كانت توضع في القبور حملت دلالة رمزية، وأقامت تصنيفًا داخل الثقافة البونيقية، مع المقارنات اللازمة لذلك. (Astruc, 1954, p.12)

ومنذ فجر التاريخ، وجد إلانسان دومًا في البيضة العنصر الحيوي والاستمرارية الخلاّقة؛ لذلك عند وضعها في القبور، صارت بشكل لا يفسّر "مُونسةً" و مبشّرة بالحياة. إلاّ أنّ مجموعة الوثائق بالنسبة للقرن السابع حول الموضوع جدّ فقيرة. وبالمقابل ومع القرن السادس، يمكننا القول بأنّها كانت بالأحرى دُرْجة مقدّر لها أن تقل، لتعود فتنتعش ثانيةً في القرن الثالث وتختفي فيما بعد نهائيًا في القرن الثاني قبل الميلاد.

و مع ذلك، فإنّ تأليفًا مهما كان مستنفدًا للموضوع، فهو لن يستطيع أبدًا أن يعكس بصدق المعنى الحقيقي لتلك الممارسة الدينية الخاصّة.

وفي المقابر الأخرى بإفريقيا الشمالية، وُجدت كذلك قشور بيض النعام: في سلسلة غنيّة تعود للقرنين الثالث والثاني من غونوغو، تيبازة، واجيلجيلي، ذات المواضيع الزخرفية مماثلة لمواضيع النماذج القرطاجية الهندسية والنباتية الشكل، لكن البيان أثري بتصاوير بشرية الشكل، وحيوانية، تشير إلى استقلال وحيوية صناعة حرفية قادرة على تقديم إنتاج مُعدّ كذلك لأن يُصدّر. كما أنّه يؤكد كذلك على وجود تقليد حرفي في خدمة المعتقدات المأتمية المشتركة في كامل العالم البونيقي الغربي. وفي فترة ما قبل العهد الروماني، عرف استعمال قشور بيض النعام انتشارًا كبيرًا، والّذي نجد أثره في المنقول الجنائزي.

في حين أنّ الورشات تبقى مجهولة، فإننا نلاحظ أنّه يمكن تحديد التّقنيّات مثل كلّ صناعة حرفية في الفترة القديمة، وهي تختلف بشكل مميّز حسب المناطق الجغرافية(Caubet, 1995, p.253.). تقدّم بيض النعام المزخرفة في العالم المتوّسطي القديم اختلافات هامّة في المعالجة، مرتبطة بالثقافات، تسمح بالتعرّف عليها إلى حدّ معيّن؛ وحتّى قبل هذه الجوانب التقنية، فإن البنية الطبيعية لقشر البيض، العائدة إلى موطنها الجغرافي، تتعلّق هي الأخرى بإشكالية الانتقال. ففي تلك الحقبة، كانت لا تزال طيور النعام موجودة في

الشرق الأوسط والأدنى، لاسيما (Struthio camelus syriacus) أصغر بعض الشيء من النوع الشمال إفريقي (Struthio camelus camelus). تتبع بيضها بالتناسب حجم الحيوان، حيث يمكننا إلى حدّ ما التعرّف على بيضة ذات أصل شمال إفريقي أو مشرقي يشكّل طول 14.5 سم حدًّا تفوقه الكثير من بيض النعام الشمال إفريقي، وتكون أدناه الكثير من بيوض النعام الشامي وبلاد ما بين النهرين.

وفي كلّ هذا الميدان الواسع، تكون القشرة ملساء، ممّا يعطي مظهراً عاجيّا مصقولاً نوّه به الكثير من الكتّاب، حيث أنّها مكسوة بجليدة كتيمة، سمكها بضع أعشار من المليمتر، تتمثّل وظيفتها في حماية ومنع تبخّر محتوى البيضة؛ فهذا البرنيق الطبيعي يمنع نفاذ الماء. ويتمّ تنفّس فرخ النعامة من خلال مسامات القشرة. كما يتطلب، من أجل استعمال هذا الأسلوب، استخدام طلاء لصوق أو إزالة هذه الطبقة السطحية بالكشط،
وبالتالي يتمّ تعرية بدن البيضة المكوّن من كلس أبيض شديد النقاء، يمتصّ الألوان المائية والحبر مثل الرقّ أو لياسة الجير.

استخدامات بيض النعام

يجب أن نرى في قشور بيض النعام، والأواني، والأقداح، والفخّاريات وأوان نفيسة ربّما كانت تُستخدم بشكل خصوصي في بعض إلاحتفالات، مثل الزواج، وفي هذه الحالة، كانت قشور بيض النعام الكاملة الخالية من الزخرفة عبارة عن أغراض نادرة وغريبة. وإذا اعتُقد العكس فأنّ هذه المنقولات تشتمل على قطع ذات طابع جنائزي بحت، فبالتالي يمكن أن تعطى لهذه الودائع، دون استبعاد أيّ شيء، تفسيرات شتّى، كلّها تتعلق بالمبدأ الحيوي الذي تحتويه البيضة، حيث تكون قد اعتُبرت كغذاء منعش بشكل مثالي (قشرة كاملة). وأخيرًا، قد نُنظِر إلى البيضة كنوع من القبر الروحاني، أو مركب ملائم أساسًا للبعث.

على أيّ حال، وفيما يخصّ الكلاس الأحمر المتبقي داخل بعض قشور البيض، فإنه يتعذّر علينا التكلّم عن مسحوق التجميل. بل هو هنا شكل من أشكال الاستخدام الجنائزي لهذا اللون الموحي، الّذي لوحظ مرارًا في إفريقيا على الجثث، وفي القسم الداخلي من النعوش. إذ يرمز اللون الأحمر للدم، الّذي هو ناقل وأساس الحياة.

سُجلت ملاحظات أخرى في مقابر تستلفت الانتباه: أنّه إذا كانت قشور البيض المحوّلة إلى أوان توضع في بعض الأحيان في شبّاك تركت أثرها على القشرة، فقد كانت أساليب أخرى تستعمل لضمان توازن إلاناء مثل القطعة الدائرية الّتي توافق القطب المفلطح من بيضة النّعامة. كانت هذه القطعة تستخدم كسند بعد أن تكون ثُقبت بفتحة كافية لتلقي القسم السفلي من قشرة البيضة، و كانت بلا شكّ تهيّأ على قائم معدني. والمؤكّد أنّه كان يوجد حول الفتحة أثر لحاضن من ذلك النوع.(Camps, 1961, p.292)

1. قناني من بيض النعام

عندما كان يتمّ استهلاك محتوى البيضة، كان يفضّل استخدام قشرة البيضة كإناء، إذ جرى الاحتراس على ثقبها جيّدًا وعدم كسرها. هكذا كان يتمّ انجاز "قنينة" قيّمة لاسيّما وأنّ الفخار لم يكن قد اكتشف بعد العصر الحجري الأوسط، أوحتّى بالموازاة مع أوعية من الفخّار عندما انتشرت هذه التقنية في فترة العصر الحجري الحديث. شكّلت هذه القناني بوجه الاحتمال الأغراض الأكثر استعمالاً من بين المصنوعة من بيض النعام، ولابدّ أنّها كانت ذات فائدة كبرى، إذا ما نظرنا إلى العدد المعتبر من شطف البيض بالإضافة إلى القناني الكاملة النادرة. لقد أمدّ النّعام بمادة لا تضاهى في ذلك الزّمن للحصول على قناني خفيفة ومتينة من قشر البيض. ويمكننا عندئذ تخيّل أهمّية تلك الأواني للمجموعات المتنقلة الّتي تنتقل في منطقة شبه جافة حيث موارد الماء مؤقتة ومتباعدة، وبالأخصّ الفائدة الّتي يقدّمها هذا الخيار في التزوّد بالماء الضروري مع البقاء بعيدًا عن موارد الماء الّتي ترتادها الحيوانات(انظر الصورة رقم8).

بيض النعام (متحف الوطني للأثار القديمة) صورة رقم8

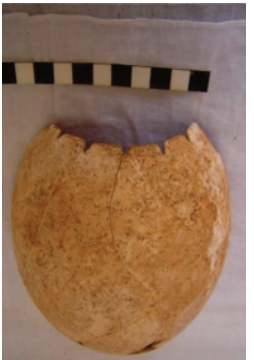

بيض النعام (متحف تيبازة)

كانت زخرفة البيض متواترة لكنّها ليست دائمة، غالبا عبارة عن نقوش، وأحيانا رسومات على السطح الخارجي. كما كانت توجد الفتحة على العموم عند أحد القطبين، والتي قد يحدث أن توجد عند الاستواء. إذ يبدو استخدامها بطبيعة الحال جليًّا : نقل وحفظ السوائل والحبوب والمواد المسحوقة. وتكون الزخارف المحيطة بالفتحة الّتي تنطوي بلا شك على دور سحري موجودة بصفة دائمة تقريبا عندما يكون سطح الغرض مزيّنًا.

2.الحلقات المنظومة وأغراض الزينة

لم يقتصر الاستخدام على البيضة الكاملة، فقد وَجدت الشطف هي الأخرى عدّة استخدامات، لا سيّما كأغراض زينة، ومنه جاءت تسميتها الشائعة بالدُرَر، الّتي استُخدمت بعض الأحيان في طقوس الدفن. وعليه، فتبدو النظرية الّتي ترى فيها تمثيلاً مسبقًا للنقد أنّها تُستعمل في المبادلات بين المجموعات البشرية بعيدة الاحتمال.

(Rahmani et Lubell ,2005, p.7-10)

3.الزخرفة على البيض

إن دراسة المظاهر الفنّية العائدة لعصور ما قبل التاريخ، تتيح لنا ولوج عالم ثري بالقطع الأثرية. وتُظهر النّقوش، والرسومات الدقة المتناهية الّتي بذلها الفنّان لتمثيل –بِوَفاء– ما يحيط به، يجذبه، ويؤثّر كثيرًا في محيطه. قبل نشوء الفنّ الحجري، بالغ الأهمّية في بلاد المغرب والصحراء، إنّها قشرة بيض النعام الّتي أتاحت ظهور الزخارف الأولى وكذا، على الرغم من هشاشتها، حفظها حتّى تصل إلينا بعد آلاف السنين. وخلال آلاف السنين، وجدت المجموعات البشرية المغربية، والصحراوية في بيض النعام مادة مميّزة لإنجاز أغراض مفيدة جدًّا ولإبراز فنّها. (Reygasse, 1935, p.535-571)

كانت الشطف المنقوشة، أو المخططة وافرة الوجود في المواقع الأثرية. فكان يُختار السطح الداخلي، أوالخارجي لقشرة البيض سندًا للزخرفة بلا تمييز، لكن نادرًا ما يتمّ اختيارهما معًا. والزخارف الأساسية إما مستقيمة، أو منحنية، أو منقّطة ومنحنية، وكذا متعرّجة، حيث تشكّل شارات متدرجة، ولفائف زهرية وتظليلات بسيطة. تكون هذه الزخارف غالبا الأحيان هندسية، وأحيانًا تصويرية، وحتّى حيوانية وزهرية. واستمر استخدام الزخرفة على بيض النعام إلى العصر الحديث. (Rahmani et Lubell, 2005, p.10-11)

وتتمثل الزخرفة في (أنظر الجدول التلخيصي للأشكال الزخرفية الموجودة على بيض النعام) :

* أشرطة فاصلة بين الرسومات.

* مثلثات ذات أو عديمة التذييل مع الرأس نحو الأسفل (تانيت مقلوبة ؟)

* أشرطة مقسّمة إلى مربّعات أو مستطيلات مخترَقة

* خطوط متعرجة (شاريات)

* شكل نباتي (سعف النخل ذات ساق طويلة أو سنابل)

* زخرفة نباتية "زهور اللوتس تجانبها أكمام؛ "أشجار مقدّسة".

* تمثيل آدمي "الصيّاد و الآلهة أو كاهنة"؛

* تمثيل حيواني "النعامة و الكلب"؛

أيّ دلالة تحملها مختلف الأشكال الزخرفية التي تزيّن قشور بيض النعام؟ هل كانت مطلبًا خاصًّا أو ظاهرة عرفت رواجًا؟ إلى أي مدى تترجم الأشكال الزخرفية الأفكار المفترض أنّها مرتبطة بقشور بيض النعام ؟ هل يمكن التكلّم عن زخارف رئيسية وأخرى ثانوية ؟

دون شك تباينت المعتقدات في حدّتها تبعًا للموقع وللفترة التاريخية، و في الكثير من الحالات كانت تضعف وتختفي. ولكن إذا استُعيرت أشكال زخرفية من أغراض مصنوعة من مواد أخرى، فيبقى القول أنّ زخارف قشور بيض النعام –كما سنراه لاحقًا– لا تشبه الزخارف الموجودة على الفخاريات، إذ إنّها تشكّل ميدانًا خاصًّا ومتميّزًا. وهو ما يمنع من اعتبارها دنيوية. إذ مهما كان مصدر هذه الأشكال الزخرفية، فلا يمكننا إلاّ أن نلاحظ أهمّية المكانة الّتي أُعطيت لها وتغير بنيتها. حيث أنّها تنتسب إلى زخرفة تشهد على مهارة قديمة اكتُسبت في الموقع بالذات أوفي مكان آخر بالمنطقة. ومن خلال ذلك تُصنّف مع رمز غونوغو ورمز تانيت، في فئة مميزة للرموز شمال افريقيا. Camps,1961

إنّه من الصعب تقبّل أنّ هذه الأشكال مجرّد زخارف عديمة الدلالة لأنها استخدمت فقط لملء فراغ مسّل. إنّها ليست أيضًا مجرّد عناصر بسيطة مستعملة للحصول على زخارف معقّدة، لكنّها معزولة بشكلٍ اعتباطي كما هو حال رسومنا التحليلية. فهي تمثّل على كلّ حال ظاهرة قديمة تذكّر تقريبًا بنظام كتابة نوعًا ما رمزية وتشبه نوعًا ما الوشم القديم.

جدول تلخيصي لألاشكال الزخرفية الموجودة على بيض النعام

الاشكال الهندسية

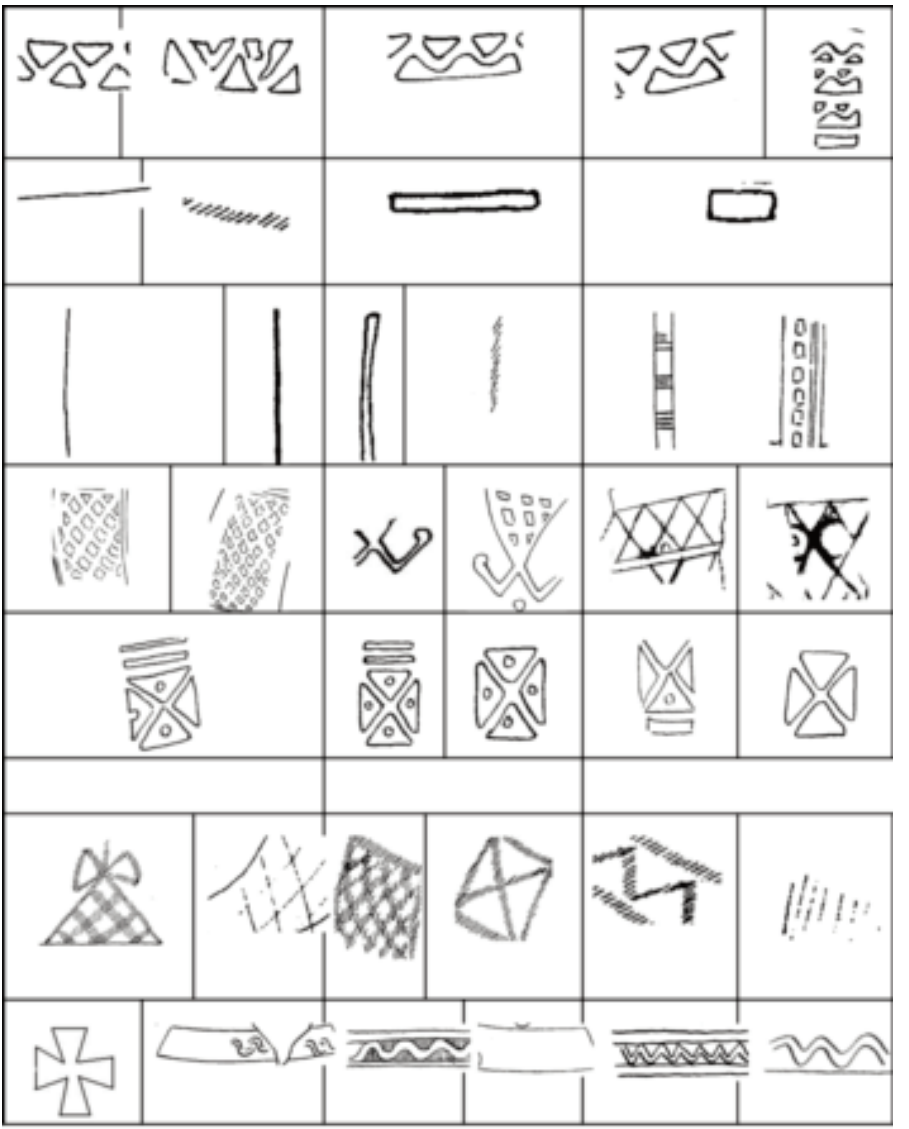

ألاشكال النباتية

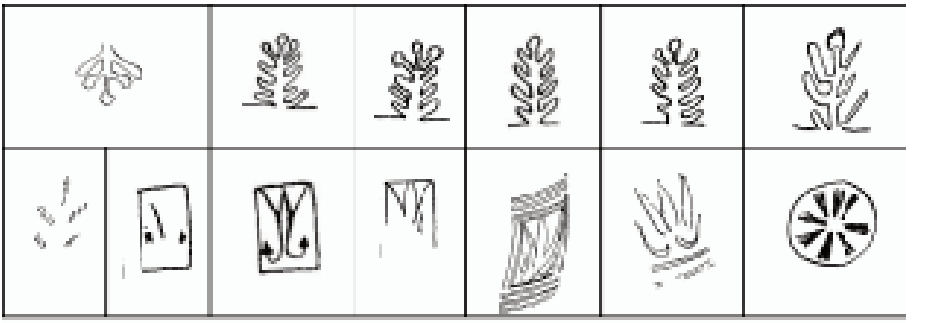

ألاشكال الآدمية والحيوانية

ألاشكال الزخرفية على القطب

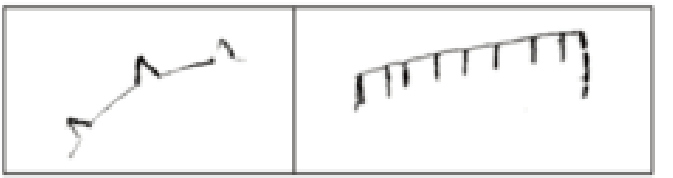

الخاتمة

كانت إفريقيا الشمالية السوق الوسيطة بين المناطق المتاخمة، بالتأكيد منطقة حيث كان يتمّ التزوّد ببيض النعام. وإلى الوثائق الأثرية، يجب إضافة الشهادات الّتي قدّمها كتّاب إلاغريق واللاتينيين، والتي تفيدنا بأنّ النعام كان حيوانًا شائعًا جدًّا في إفريقيا الشمالية خلال الحقبة القديمة.

إن المصادر الأثرية، وبشكل أساسي قبور إيجيلجيلي، وغونوغو، وتيبازة قد وُجدت فيها سلسلة غنية من قشور البيض على شكل أوان، كاملة وغير مزخرفة، وأيضًا منقوشة بنسبة ثلاث أرباع أفادتنا بتشكيلة معتبرة ومتنوّعة من بيض النعام؛ وتعود أهمّية مصادر غونوغو، الّتي يمكن تأريخها بالقرن الرابع قبل الميلاد، إلى البيان التصويري المرسوم على شطف قشور البيض. كما لا تستبعد الزخارف الهندسية والنباتية المماثلة للزخارف القرطاجية اللجوء إلى التمثيلات البشرية والحيوانية. وهو بالتأكيد في قرطاجة وغونوغو حيث ينبغي تحديد على الأقلّ مركزيّ إنتاج شمال إفريقيين قادرين على تصدير تلك القشور الثمينة. إذ لدينا ميل لرؤية أثر عن الانتقال من ضفة إلى الضفة الأخرى من البحر المتوّسط، لتلك الأغراض المجلوبة، صغيرة الحجم، وسهلة النقل، الّتي كانت أسناد لمصوّرة غنية وسهلة التعريف.

يبدو تدخّل يد عاملة من الورشات شمال إفريقية جليًّا لهذا الصنف الحرفي، لأنّ إفريقيا الشمالية كانت الوحيدة القادرة على التزوّد بالمادة الأوّلية الّتي كانت تلزمها. وقد استعملت هذه الأواني الّتي وفّرتها الطبيعة بسخاء، في زمن مبكّر جدًّا ابتداءً من الحقب الإيبروموروسية والقفصية. فقد وجدت مزيّنة في العديد من المواقع الأثرية العائدة لما قبل التاريخ. وخلال العصر القفصي الأعلى وفي السهول العليا للمغرب الشرقي، ولد فنّ متلجلج مجرّد وتصويري في ذات الوقت، الّذي قرن الخطوط الهندسية بالتمثيلات البشرية؛ وكما بيّنته كامبس فابرير، حركة القفصيين باتّجاه المناطق الشمالية ترافقت مع ظهور وتعمّم شغل بيض النعام المثبت بالحلقات المنظومة، ولكن كذلك باستعمال قناني من قشور البيض في تلك المناطق النائية. إنّ هذا يبرهن على أنّه قبل البونيقيين وقبل التأثيرات الإيبرية المحتملة، كان الأفارقة يعرفون ليس النقش فقط ولكن حتّى الرسم على قشور بيض النعام الّذي جاء الغرباء فيما بعد ليشترونه منهم. ويبدو مع ذلك أنّ الاستخدام المأتمي لبيض النعام ليس من أصول إفريقية. إذ إنّ هذه القشور في الواقع نادرة نوعًا ما في الجثوات.

لقد جعل الطابع القابل للتلف لقشور البيض من هذه الأغراض ممتلكات فاخرة تلّبي طلبات زبائن من صفوة المجتمعات المتوّسطية. بيد أنّ حالتها المجزّأة، أحيانًا على شكل قطع مفتّتة، هي نتيجة هشاشة كبيرة تفاقمها تفاعلات كيميائية محتملة تفتّت الكالسيوم المكوّن الأساسي لقشور البيض. وللأسف، فإنّ هذه الظروف تجعل أيّة محاولة عبثية لتحديد خصائص هذه الصناعة الحرفية وتقديم تصنيفٍ سديد لإنتاجها.

المراجع

1.Aristophane. Anthologie comique, des achariens aux oiseaux.

2.Aristote. Histoire des animaux, VIII, XXVII, 10

3.Astruc M., 1954. «Supplément aux fouilles de Gouraya», Libyca: archéologie épigraphie, T.II, 1er semestre, p.12.

4.Bodson L., 2005. «la dénomination des animaux en Grec ancien et en Latin», revue de paléobiologie, Genève déc., vol. N°10, p.261-266.

5.Camps G. 1961, Aux origines de la berbérie, Monuments et rites funéraires protohistoriques, Paris.

6.Camps-Fabrer H., 1966. Matière el Art mobilier dans la Préhistoire nord-africaine et saharienne. Mém. du C.R.A.P.E.

7.Camps-Fabrer H. 1962. «la disparition de l'Autruche en Afrique du Nord», Revue Africaine, p.33-56.

8.Caubet A., 1995. «Documents puniques: les œufs d'autruche de Gouraya », IIIe Act.C.I.E.Ph.Pu, 11-16 nov. 1991, vol. I, Tunis, p.253.

9.Cintas P., 1970. Manuel d'archéologie punique, T.II, Paris.

10.Diodore de Sicile, III, 28, 2-4 II, 50.

11.Herodote. Histoires, IV, 192.

12.Herodote, 1915. Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord par St.Gsell, Alger, vol. n°10.

13.Isidore de Seville. Étymologies, XII, 7, 20

14.Judas A., 1865. « Sur quelques animaux attribués ou refusés à la Libye par Hérodote», Recueil de Constantine, v.09, p2-22.

15.Moscati S., 1988. Les œufs d'autruche, in Les phéniciens.

16.Oppien. La pêche, l. 4, v, 630.

17.Pline l'Ancien. Histoire naturelle, Livre X, I(1), Paris, les belles lettres, 196.

18.Polemon. Physiognomonia liber, 186, 7.

19.Rahmani N., Lubell D., 2005, Dessine-moi une autruche, la gravure de Kef Zourad et la représentation de l'autruche au Maghreb, in SAHARA 16, p.39-40.

20.Reygasse M., 1935. «Gravures et peintures rupestres du Tassilli des Ajjers» l'anthropologie, t.45, n°5-6, Paris, p.535-571.pdf

19.Noruzi, Alireza. 2005. Web Impact Factors for Iranian Universities,Webology [enligne],april 2005, vol. 2, n° 1. [Consulté en juillet 2013]. Disponible à l'adressehttp://eprints.rclis.org/7180/

20.Okubo, Y, 1997. Indicateurs bibliométriques et analyse des systèmes de recherche: Méthodes et exemples[en ligne], Editions OCDE. [Consulté en avril 2013]. Disponible à l'adressehttp://www.oecd-ilibrary.org/docserver/download/

21.Otlet, Paul. 1934. Traité de documentation, le livre sur le livre:Théorie et pratique, Liège:CLPCF, éd. 1989

22.Rajkumar, Buyya. 2006. Seven Tips for Enhancing Your Research Visibility and Impact [enligne],nov. 2006, Australia: The University of Melbourne. [Consultéennovembre 2012].Disponible à l'adressehttp://www.cloudbus.org/reports/7TipsForEnhancingResearchVisibility.pdf

23.Ranking web of research center: Methodology. [en ligne], [Consulté en février 2014]. Disponible à l'adressehttp://research.webometrics.info/en/Methodology

24.Rey, Olivier. 2009. Productivité et qualité scientifique: avec quelles publications compter ? Dossier d'actualité de la VST[en ligne], n° 46, juin – juillet 2009. [Consulté en janvier 2013].Disponible à l'adressehttp://www.inrp.fr/vst

25.Salomon, Resnik. 2006. Visibilité de l'inconscient. Revue de psychothérapie psychanalytique de groupe [en ligne], 2006/1, n° 46, p. 129 – 136. [Consulté en septembre 2012].Disponible dressehttp : // cairn.info/ revue-de-psychotherapie-psychanalytique-de-groupe-2006-1-page-129.htm

26.Sarli, Cathy ; Holmes, Kristi. Strategies for Enhancing the Impact of Research [enligne], Washington University School of Medicine. [Consultéenfévrier 2013]. Disponible à l'adressehttps://becker.wustl.edu/impact-assessment/strategies

27.Sellami, Mokhtar;Aourag, Hafid. 2012. Regards sur les dernières publications relatives aux classements internationaux des Institutions de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique[en ligne], Direction générale de la recherche scientifique et du développement technologique, février 2012. [Consulté en juillet 2012]. Disponible à l'adressehttp://www.ummto.dz/IMG/pdf/Classement_fevrier_2012.pdf

28.Taskin, Zehra ; Al, Umut. Standardization problem of author affiliations in citation indexes. Scientometrics [en ligne], mars 2013. [Consulté en novembre 2013]. Disponible à l'adressehttp://link.springer.com.www.sndl1.arn.dz/article/10.1007%2Fs11192-013-1004-x

29.Thelwall, M. ; Tang, R. ; Price, L. 2003. Linguistic patterns of academic web use in Western Europe. Scientometrics[en ligne], vol. 56, n°3, p. 417- 432. [Consulté en août 13]. Disponible à